

## حركة إستباقية في المنطقة واعتراضية في الولايات المتحدة الاتفاق النووي على قاب قوسين أو أدنى

العالم قبل حرب اوكرانيا شيء، وبعد الحرب شيء آخر. هذا ينطبق ايضا على مفاوضات فيينا التي خلطت اوراقها الحرب بعد دخول روسي على الخط وضعه الاميركيون والاوروبيون في خانة التشويش والابتزاز، ولا يعرف بعد ما اذا كان سيؤدي الى تجميد المفاوضات ام الى تطييرها، خصوصا وانه مرفق بطلبات وشروط ايرانية جديدة

قبل الحرب، كانت كل المؤشرات تدل على "اتفاق وشيك" وقرب تصاعد الدخان الابيض من فيينا، في وقت كان الغيم الاسود يتجمع في اجواء اوكرانيا. كان الجانب الايراني مدهوشا من حصول تبدل في الموقف الاوروبي الذي كان شديد السلبية واصبح اقل تحفظا وحذرا. كانت الدهشة اكبر من المفاوضات الاميركي الذي اظهر تجاوبا ومرونة واستعدادا للاتفاق على اهم النقاط، وما بقي عالقا ليس من النوع القابل لنسف الاتفاق. هذا التطور شجع الايرانيين على طلب المزيد وتحسين شروط التفاوض. عشية اندلاع الحرب كانت مفاوضات فيينا في شأن العودة الى الاتفاق النووي الايراني تتأهب لاجتياز خط العبور الى النهاية، وكانت كل الاجراءات والتعليقات الصادرة عن طرفي المفاوضات تفيد ان الاتفاق صار وشيكا وفي غضون ايام. مع تفجر الحرب، بدأت الاجواء تتغير، وبدا واضحا ان الازمة الاوكرانية ارخت بظلال كثيفة على المفاوضات واعادت خلط الاوراق، وبدأت التساؤلات تطرح بالحاح عن مصير المفاوضات، في ظل ارتباك ايراني، وتبدل في جدول الاولويات الروسية، ومراجعة الحسابات الاميركية.

بعد الحرب، طرأ تباطؤ واربك في مفاوضات فيينا بسبب انشغال الغرب بتطورات الحرب المبلغتة التي قلبت الاولويات والاضاع رأسا على عقب، وايضا بسبب دخول روسي على خط المفاوضات كان متوقعا ومرتبقا في اي لحظة ولم يتأخر حصوله، ذلك ان موسكو التي لعبت دور الوسيط بين ايران والولايات المتحدة، لا يمكن ان تستمر في هذا الدور مع الاميركيين الذين تحولوا الى لعب دور



الرئيس الاميركي جو بايدن.

الخصم معهم في اوكرانيا ويحاولون لي ذراعها، فكان ان قرر بوتين استخدام ورقة المفاوضات النووية لتعزيز موقعه ووضعه في مواجهة الرئيس الاميركي، وهو يعرف ان اولوية بايدن هي للاتفاق مع ايران وتحييد خطرها النووي والافادة من نفطها للحد من ارتفاع اسعار الطاقة عالميا. وفي وقت كان المفاوضات في فيينا يقومون بوضع اللمسات الاخيرة على الاتفاق، صدر موقف من وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف يقول فيه ان "احياء الاتفاق النووي يجب ان يوفر لجميع المشاركين حقوقا متساوية في ما يتعلق بتطوير التعاون من دون عوائق في جميع المجالات، ومن دون اي تمييز"، وهذا يعني ان موسكو تريد الحصول على ضمانات اميركية بأن لا تضر

عن اعلان الاتفاق النووي. رغم كل ذلك، ايران حريصة على تحالفها مع روسيا، خصوصا وان الثنائي الحالي في القيادة الايرانية (رئيسي وعبد اللهيان) من انصار التحالف مع روسيا وسياسة التوجه شرقا. ايران لن تدير ظهرها لروسيا في هذه المرحلة، ولن تطعن في الظهر ولا تغلب مصحتها

### الاتفاق النووي حاصل وجاهز والمسألة مسألة وقت واخراج

وضعهم ويتصرفون من خلفية ان التطورات، من انسحاب افغانستان الى حرب اوكرانيا تعزز موقعهم التفاوضي، وتجعل اللحظة مؤاتية لابتنزاع الاميركيين ورفع سقف الموقف والشروط. الى مطالبهم السابقة (رفع كامل ومتدرج للعقوبات وحصر التفاوض في الاتفاق النووي وعدم شموله البرنامج الصاروخي والدور الاقليمي لايران)، اضافوا ثلاثة مطالب جديدة: مفاوضات مباشرة مع الولايات المتحدة وضمانات بعدم تكرار تجربة الانسحاب الاميركي من الاتفاق النووي مستقبلا، ورفع الحرس الثوري والتنظيمات الموالية لايران (الحوثيون وحزب الله) عن لوائح الارهاب.

هذه الاندفاع الاميركية في اتجاه الاتفاق مع ايران عززت الاعتقاد بأن الاتفاق حاصل والمسألة مسألة وقت واخراج وسيضع دول المنطقة امام واقع جديد بدأوا في التعايش معه، ووضع ترتيبات جديدة لمرحلة ما بعد الاتفاق، وهذا كان من اسباب واهداف اجتماع القمة الاستثنائي في النقب، حيث باشرت اسرائيل ودول عربية فاعلة عملية التنقيب عن اجراءات عملية لمواجهة الاستقواء الايراني بالاتفاق النووي ومكتسباته من جهة، والانكفاء الاميركي عن الشرق الاوسط بحجة اولويتي روسيا

والصين من جهة اخرى. لكن حماسة الرئيس بايدن وادارته الى اكمال ما بدأه الرئيس السابق اوباما، والى احياء ما الغاه الرئيس السابق ترامب، تواجه موجة اعتراضات داخل الولايات المتحدة اولا من الجمهوريين وبعض الديمقراطيين، ومن اسرائيل ثانيا ومن جانب الحكومة والمعارضة على حد سواء.

في الولايات المتحدة، تسود اجواء غضب عارم في اوساط الجمهوريين وبعض الديمقراطيين من اصرار بايدن على التوصل الى اتفاق مع ايران رغم التحذيرات المتكررة. هذه المعارضة تصاعدت بشكل كبير مع الغزو الروسي لاوكرانيا في ظل اعتماد ادارة بايدن على روسيا في مفاوضات فيينا واحتمال حصول موسكو على



الرئيس الروسي فلاديمير بوتين.

في الاتفاق وتريده بأي ثمن، وتظهر استعدادا لتقديم ما يلزم من تسهيلات وتنازلات: تجاوزت مسألتي البرنامج الصاروخي لايران وانشطتها الاقليمية، ولم تقفل الباب امام الطلب الايراني برفع الحرس الثوري عن قائمة الارهاب، وعندما قصفت ايران موقعا اسرائيليا في اربيل بصواريخ بالستية في عملية تبنها الحرس الثوري، جاء رد الفعل الاميركي هادئا ومتجاهلا. وعندما طالبت موسكو بضمانات من واشنطن بعدم تأثر مصالحها في الاتفاق النووي مع ايران، كان لها ما ارادت، وتصرفت واشنطن من خلفية ان لا صلة بين الحرب الدائرة في اوكرانيا وعملية العودة الى الاتفاق النووي، وان الدور الروسي الوسيط ما زال قائما. اما الايرانيون، فانهم مرتاحون وواثقون من

في الاتفاق النووي على العلاقة التحالفية معها. التباينات بين المسؤولين الايرانيين في شأن العلاقات مع روسيا موجودة وازدادات وضوحا بعد اوكرانيا وفيينا، الا ان ما يجمع بين ايران وروسيا اكثر مما يفرق بينهما، وهذا يشمل الملف السوري. ورغم الغطاء الروسي للغارات الاسرائيلية هناك، فان ايران تحبذ بقاء روسيا في سوريا ولها مصلحة في استمرار الوجود العسكري الروسي، لكن مع تنظيم للعلاقة وتوزيع الادوار على الساحة السورية، من دون استثثار وهيمنة.

منذ مطلع نيسان بدأت الصورة تتبدل وتكاثرت المؤشرات التي تدل الى ان الاتفاق النووي الجديد بات جاهزا وعلى قاب قوسين او ادنى من حفل التوقيع. الولايات المتحدة لا تدع مجالاً للشك في انها ماضية في هذا



الرئيس السوري  
بشار الأسد  
في الامارات  
العربية  
المتحدة.

الفوضى السياسية التي تقارب بها الادارات المتعددة ملفات المنطقة لم تؤد الا الى ضرب مرتكزات الاستقرار وفتح الباب امام مزيد من التغول الايراني. حقيقة الامر، ان الخيارات المرة الموضوعية على طاولة صناع القرار في المنطقة هي نتاج مباشر لفشل السياسات الخارجية الاميركية تجاه الشرق الاوسط. كما ترى هذه الاوساط ان اميركا تواجه تحدي إعادة ترتيب علاقاتها مع حلفائها التاريخيين التقليديين في المنطقة، ودعم حلف السلام العربي الناشئ وتمكينه من خلال إعادة الحياة الى مبادرات اميركية لحياء عملية السلام والتسوية الفلسطينية - الاسرائيلية، ولو تترك الادارة الحالية المناكفات والحسابات الداخلية جانبا لادركت تماما حجم المخاطر التي ستترب على العودة الى الاتفاق النووي بصيغة سنة 2015 والتي من شأنها ان تتحول الى جسم مفخخ ولاد لنزاعات وحروب تضاف الى الحروب والنزاعات الحالية. وقد تكون العلة ان العاملين في ادارة جو بايدن على اتفاق 2015 عاجزون عن استيعاب دلالات التطورات الاخيرة، من اطلاق الصواريخ الإيرانية على اربيل الى القصف الحوئي على السعودية والامارات، الى اندلاع موجة عمليات فلسطينية فدائية في قلب اسرائيل.

## الاستنفار الاقليمي في اطار الاعداد لمرحلة ما بعد الاتفاق

اتفاق عام 2015، حيث تعتقد ان الاميركيين قدموا تنازلات مبالغ فيها، ومن دون ان يحصلوا على اي مقابل يوازونها من ناحية ايران، وتحديد في ما يتعلق بنفوذ طهران الاقليمي، وتنامي قدراتها العسكرية غير النووية، علما ان هذه الاخيرة هي التي تمثل التهديد الحقيقي، والاكثر حضورا وتأثيرا. الامارات من جهتها بدت مستغربة للسياسة الاميركية، والاماراتيون الذين استقبلوا الرئيس السوري بشار الأسد بحفاوة لا يتفهمون واشنطن التي اعلنت عن خيبة أملها من التطبيع مع النظام السوري في وقت تسميت للتطبيع مع النظام الايراني. هذه الاجتماعات الاقليمية في رأي اوساط خليجية دبلوماسية حصلت في لحظة تصادم غير مسبوق بين عواصم خليجية رئيسية وواشنطن، نتيجة انطباع يتنامى بأن اميركا منسحبة من الشرق الاوسط، وان

انهم قلقون من تساهل واشنطن وتراخيها مع ايران وامتناعها عن الرد على الهجوميين الايرانيين الاخيرين اللذين استهدفا مرافق اميركية في سوريا والعراق. اما القلق العربي، فقد عكسته الاجراءات والتصريحات الصادرة عن لقاء السيسي - بن سلمان في الرياض هذا الشهر، والتي شددت على التضامن الكامل للحفاظ على الامن القومي العربي، وعلى رفض اي محاولات اقليمية للتدخل في الشؤون العربية الداخلية عبر ادوات التحريض العرقي والمذهبي، او عبر تطورات توسعية لا تحترم سيادة الدول ومبادئ حسن الجوار. لكن الاجتماعات الاسرائيلية - العربية تنطوي على رسالة سياسية في اتجاه الولايات المتحدة، تظهر امتعاضا واستياء من ادارة بايدن التي تتعمد ادارة الظهر للقلق المثار من الدول الاقليمية الحليفة لها، وتحديد ما يقال عن اهمالها منطقة الشرق الاوسط عموما لمصلحة جبهات اخرى افتتحت، او هي في طور الافتتاح، في وجه واشنطن، في اوروبا وشرق آسيا. وكانت تل ابيب قد بالغت في تظهير هذا الاستياء، عقب تنامي المؤشرات الاميركية الواضحة عن قرب توقيع اتفاق نووي جديد في فيينا، تصفه اسرائيل بأنه اسوأ بكثير من



البرنامج النووي على طاولة التفاوض.

## حرب اوكرانيا اربكت مفاوضات فيينا من دون ان تنسخها

الروسية - الاوكرانية وترتيبات ما بعد الازمة، مروراً بتطورات الاتفاق النووي الايراني وانعكاس ذلك على مختلف الابعاد السياسية والامنية في المنطقة، وصولاً الى التهديدات الحوثية للامارات والسعودية. واذا كان البحث يشمل ملفات وشراكات اقتصادية ابرزها ما يتعلق بالشراكة في مجال الطاقة بين مصر واسرائيل والشراكة التجارية والاستثمارية مع الامارات، اضافة الى زيادة الرحلات الجوية واطلاق مسار جديد مباشر بين تل ابيب وشم الشيخ، فان البحث تركز على الملفات الامنية على قاعدة الاعتراف بدور اسرائيل قيادي لمحور المواجهة مع ايران، حيث تستعد اسرائيل ملء جزء من الفراغ الناجم عن الانسحاب الاميركي من ملفات المنطقة. في الواقع، حصل تقاطع اسرائيلي - عربي في مقارنة ملف ايران ومشروعها وتهديداتها في المنطقة: الاسرائيليون يعملون في ما وسعهم للحوول دون ان تتحول ايران الى تهديد وجودي مع امتلاكها قدرات نووية، ولا يفهمون التنازلات الاميركية غير المبررة في مفاوضات فيينا، بما في ذلك رفع العقوبات عن المؤسسات الاقتصادية التابعة للمرشد الايراني علي خامنئي، والغاء تصنيف الحرس الثوري الايراني عن لائحة الارهاب. كما

وان اكتسب هذه الابعاد السياسية والامنية الاستراتيجية. هذا التحول سرع في بلورته وخروجه الى العلن تطوراً: قرب التوصل الى اتفاق نووي مع ايران يطلق يدها في المنطقة، والحرب الروسية على اوكرانيا وتداعياتها المتعلقة بالطاقة واستقرار الاسواق والامن الغذائي. هذا التحول عنوانه الفعلي إعادة ترتيب المواقع والتحالفات لمواجهة الواقع الايراني الجديد، لكنه ينطوي ايضا على رسالة الى الادارة الاميركية المتهلفة لاتفاق مع ايران بأي ثمن، والتي ارسلت وزير الخارجية انطوني بلينكن لتهدئة الحلفاء في المنطقة واعطاء التطمينات المطلوبة لمرحلة ما بعد الاتفاق النووي. تحمل هذه الاجتماعات المتلاحقة رغبة سياسية في التنسيق حول الملفات الامنية المثيرة للاضطراب والقلق في المنطقة، بدءاً من الكشف عن التداعيات السلبية للامنة

اعفاءات من العقوبات، بما يجعل ان الفائز بالعودة الى الاتفاق النووي سيكون بوتين. وقد جاءت التريجات برفع الحرس الثوري عن لائحة الارهاب لتثير موجة من الانتقادات باعتبارها منظمة ارهابية مسؤولة عن اعتداءات متعددة على القوات والمصالح الاميركية، وهمول وكلاء خطرين في المنطقة والعالم، خصوصا مع ما سيكون عليه الوضع من تهريب الاموال الناجمة عن رفع العقوبات المتعلقة بالارهاب وبمبالغ كبيرة. يرى الاميركيون الجمهوريون والاسرائيليون كذلك، ان بايدن مهووس بالعودة الى الاتفاق ومستعد لتقديم كل التنازلات المطلوبة، وان الاتفاق الذي يعمل عليه بايدن كارثي واسوأ من اتفاق اوباما لانه سيؤدي الى تفكيك العقوبات من دون وقف ايران دعمها للارهاب. فكل ما ستتطرق اليه الصفقة هو وقف التخريب، وهو امر يعلم الايرانيون كيف يفعلونه. الاتفاق لن يوقف تطور برنامجهم الصاروخي، ولن يوقف دعمهم للارهاب، ولن يوقف تسلحهم. في نقطة ما في المستقبل، اذا ارادوا العودة الى التخريب، فلديهم المعدات لذلك والمعرفة. وستكون لديهم كذلك المليارات والمليارات من الدولارات التي سيستثمرونها لتطوير قدراتهم التقليدية وبرامجهم. في المنطقة لاحت بوادر ما بعد الاتفاق النووي والمرحلة الايرانية الجديدة، وحصل استنفار اقليمي لملاقاة هذه المرحلة واستباقها ووضع الترتيبات لها. وحول هذا المتغير تمحورت حركة الاتصالات واللقاءات والقمم. في هذا الاطار، عقدت قمة ثلاثية في شرم الشيخ ضمت الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي وولي عهد الامارات محمد بن زايد ورئيس وزراء اسرائيل نفتالي بينيت. وفي النقب الاسرائيلية، عقد لقاء رفيع المستوى وصف بقمة النقب، بمشاركة وزراء خارجية الولايات المتحدة واسرائيل ومصر والامارات والمغرب والبحرين. هذان الاجتماعان في شرم الشيخ والنقب يكشفان عن تحول مهم في العلاقات العربية - الاسرائيلية لم يسبق ان اخذ هذا الشكل من الوضوح والتنسيق،